

وَجْهٌ عَصْرِنَا فِي الْقَرْنِ الْفَارِبِ

بقلم محيى الربيع محمد

إطار :

الفنون هي فكر وتطوير وحس انعكاس العالم ، لذلك نلاحظ في فترات الفلق السياسي او الاقتصادي او النفسي ، قلقا فنيا مصاحبا ، يواكب كل مجالات الحياة وارتباطاتها .. فمنذ الحرب العالمية الاولى ظهر الى العالم كتاب من طراز (ريمارك) و (بريخت) من الذين عانوا مأساة توصيل الانسان الى الجنون ، بالحرق وبالغاز وكافة الوسائل الاخرى .. وعبروا من خلال معاناتهم عن رغبة الانسان بالارتداد نحو الاخلاقيات الاولى كرد على فكرة الحروب ،ومنذ تلك الحرب الى الان ، يخرج في كل لحظة كتاب او مجموعة اشعار ، او لوحة تجسم قلقا نفسيا او مرضا يواجهه الفرد ازاء ما يسميه « عدم فهمه ... » ! .. وفي الواقع يظهر القرن العشرون لا اكرانا جهنميا بالفرد في كل مناسبة، فمعظم القوانين العلمية التي يتسم بها عصرنا قد شجيت الفرد ورفضته وعلقت من قرونه !! أصبح يقاس بالمسطرة ، واضحى دمه مدادا ، ودموه انصبابا ميكانيكيا لا اكثر ، واصبحت كلمة (عاطفته) ابتداءلا يستثير الضحك ومن يكثر بهذا الفرد الذي يحس ويضطرب في عالم كله قانون ورياضة وجبر؟! اننا ننفذ اقتراح نيتشه بحذافيره : فكما طلب هذا الفيلسوف المنحس عزل كافة المرضى بدون ان يتناسلوا حتى يمكن للمجتمع السليم ان ينسل الانسان السوبرمان يعزل مجتمعا الصناعي في صرامة مغلقة كل الافراد (المرضى) الذين يملكون حسا بالفردية اعمق ، على حين يفتح جنته على مصراعيها امام تيار متدفق من الرؤوس اللولبية المصنوعة التي كلها ارقام .. حسابات وارقام ..

منذ الحرب العالمية الاولى ، وحتى الان ، نقرأ ونشاهد ونستمع الى اشعار ولوحات وموسيقى تعالج هذا الفلق ازاء ما يسمى الكارثة الفردية الكبرى! .. ذلك لاننا نتحول .. وفي عصور التحول الفجائية هذه ، ينائر على الارض اولئك الذين ما عاد في استطاعتهم التثبيت لحظة اخرى ، بالتطور المتدفع .. ويصبح فن اولئك المتناثرين فنا هو مرضهم وبأسهم ، اي فنا متناثرا . وقد قرأنا كثيرا لاولئك الذين اخلوا قبضاتهم عن المركبة المسرعة وآثروا انتظار الموت في قمة العزلة .. وكلما بعدت المركبة عن انظارهم ، قدموا للعالم كتابا او مجموعة اشعار اشد قتاما من المجموعة الاولى واكثر عزلة .. ونقول في هذه الاثناء : انهم ينسونه ..! وذلك صحيح ، بقدر ما هو صحيح ان نقول : انه ينساهم!!

على ان النسيان هو عملية متبادلة ، فهؤلاء الذين تشبثوا بالمركبة هم طليعة عصر جديد اراد من المقامرين الذين يصبحونه ان يمزقوا عواطفهم، وقد استجاب هؤلاء لذلك النداء المرعب ، وآثروا ان يخضعوا للضرورة .. فكل شاعر ورسام وروائي من الذين نثرهم التحول المصري هم شواهد ضمنية على ان فكرة العصر الجديدة تنتصر ، وفي عصرنا هذا يصبح

الصحية هو الفرد ، والفكرة الجديدة هي الاشتراكية ..

على اننا لو اردنا اكتشاف هذه الظاهرة المرضية لما تطلب منا سوى قراءة او تمسك فنية القرن العشرين في اشعار اليوت .. ماندلستام . كازيمودو ، وفي روايات جيسيك وجيورجيو وفولكنر ، وفي لوحات سيكويرس وموريس اندريه ، وفي موسيقى رحمانينوف ومسرحيات بريخت وكامو وتيار الافلام التي يقدمها ايليا كازان ..

وفي طيلة العصور الماضية ، عصور الفرد ، ظلت الامراض امراضا والفقر فقرا والجهل جهلا .. ذلك لانهم كانوا يكافحون ذلك بالصدقات احيانا وبالزكاة .. وبانتظار المعجزات ..

وكان الكاتب يبدأ الصراع من النقطة التي بدأ بها الكاتب السابق ، وليس من النقطة التي انتهى اليها .. اي لم يكن هناك تطور وتقدم ، ومات مئات الكتاب والروائيين يشتمون الفقر والمرض ويحاولون تغيير المجتمع . وبماذا؟! باقصوة واحيانا بمقال !! واحتاج العالم لآلاف من السنوات كي يقتنع بفكرة الاشتراكية ويعمل بها .. وفي هذه السنوات .. سنواتنا نلاحظ ازدياد عدد الافلام التي تلوح بكارثة الفردية ، ذلك لان العصر يتحول ...

قرنا هو قرن التحول ، من منتهى الرخاوة العاطفية الى منتهى الصلابة الآلية ، ولذلك حاول بعض الكتاب استباق العصر الالي المنتظر، بدون انتظار التخمر الضروري للفكرة الاشتراكية ، وما يتبعها من تخمر مماثل للفن ، وحاول خلق فن اشتراكي في مجتمع لم يزل فرديا .. وكانت النتيجة هي «عدم فهمه ...» وكانت النتيجة التالية ازدياد حدة الفردية لدى بقية الكتاب .. فالفن الاشتراكي الموجود في بلاد متخلفة ليس الا مهارات من نوع الفن التكعبي والتجريدي ، ومن هذه الملاحظة الضيقة تكشف ان الفن الصادق الحقيقي الذي يعبر عن التوتر البالغ في عصرنا هذا ، ليس من التحول الهجين الذي امتلات به واجهات المكتبات والرفوف بقدر ما هو الذي يدعوه « فنانو التحول » : الفن المرفس الساقط !! وذلك لانه انعكاس ووعي يفهم البشر الذين يتحولون من الازدهار الواحدي الى عدالة الدولة ، فصدق نوعية هذا الفن المنحدر هو في تعبيره العميق عن احساس الفرد في غمار هذه الضجة الهائلة بكافة احساساته التي اولها التوتر وآخرها المرض العصبي ..

ولما كانت المدينة بالذات هي المكان الاول الذي تنمو فيه بذور التحول الفاتكة ، كان رجل المدينة هو الاعماق التي ترددها قياساتنا : هذا الفرد الذي استحال في صخب المدينة وجنونها عنقودا من الالم تهمر حياته حتى الرمق ، واحدة واحدة ويوما بعد يوم ، وهو يتحول في كل لحظة الى مجموعة من الاعصاب متوفزة حتى الموت .. تدفعه الى ذلك ميكانيكية حياته وخلوها من الامن والهدوء بزيادة الاوصاب المادية الضيقة

فحين يكشف الانسان عن المدى الضعيف الذي وصلت اليه ارادته بالقياس الى ارادة الدولة الجبارة ، ارادته التي هي وعيه لتطوره ثم فعل هذا الوعي، يصبح لزاما عليه ، اما ان ينضوي تحت علم الضرورة التي محت ارادته ، واما ان ينزول عن الكون والاخرين ! . والعزلة هي الجواب النهائي الذي يصرخ به هؤلاء الفنانون في وجه النداء الاصم للعصر ..

وفي هذه الحالة ينقلب الفن الى تسجيل شعوري عميق للمدى الانهياي الذي وصلت اليه أعصاب الافراد ويصبح عليه ان يكون شاهدا ضد التبخر المتحمس لفكرة الفردية ..

وهذا ما وصل اليه الفن فعلا في القرن العشرين : انه تسجيل امين لتوترنا ، وفي نفس الوقت ايماءة حزينة لتحولنا .. ان ارضنا القديمة تتحول .. وكذلك تراثنا وثقافتنا وحضارتنا ، فمن ارض الجهل والتعصب والفقر والوثنية ، تبرز الكف البيضاء التي تهب الحب والعدالة والامن ، فمع ايماننا الصميمي باشتراكنا واقعا ، لا يمكن ان نسيء الى الفن الفردي الذي يعلن عنا ، فهو في الخاتمة ، شهادة أمينة لعصرنا ...

الشعر

المؤلم والمأساوي والاسطوري .. افانيم بداية القرن . بيد ان الفاجع لم يعرف طريقه الى الشعر الا بواسطة السرياليين الذين حاولوا صوغ الاحساس المبهم في كلمات ، في كثافة رموز .. اكانوا هم من رد جانبنا من الانسان مفمورا في الظل ، الى الوهج المشع .؟! غير ان ميزة العصر ، وهي التي عبرت عنها الفلسفة باتباعها التخصص الدقيق ، حولت الى الخارج ما كان مطموسا ..

التي جرها عليه ارتفاع مستوى المعيشة المستمر ، بتأثير تجارة الحرب التي اقضت مضجعه ماديا ونفسيا ، ففي هذه اللحظة بالذات ، لحظة انقسام العالم الى كتلتين متعصبتين ، وفي لحظة التهديد باستعمال اقصى الوسائل التدميرية ، يجد الفرد نفسه في موقف اشبه بوقوفه على السراط ، فالطلوب منه هو ان يوافق على ذلك او يقتل نفسه !..

الحرب .. السيارات .. الخسارة الاقتصادية . آلات المصانع . الدخان ، ابواق ، نفير ، باعة ، صياح ، مساء ، مواخير ، ديون ، صداع ، قرف .. ثم الدورة نفسها مرة اخرى وثالثة وألف ، في كل يوم .. وتمتلئ المستشفيات العامة والخاصة بمرضى الاعصاب الذين يستلزمون اضافة عنابر جديدة واقسام جديدة للتخصص في كليات الطب ، واخصائيين جدد ..

ان مرض الاعصاب هو آفة هذا العصر الذي يتحول من العاطفية الى الالية .. على ان الافراد التي تعيش باعصابها تتفاوت درجة تحملها لهذا التوتر الفظيع ، فالجمهرة الكبرى تغطي هذا الحس الفائق باستعمالات غريزية صماء ، فهي تتحول الى الساخر ، والى السيئسما ، ليس بقصد الدراسة او العلم ، بل لواد عملية التفكير ، ويكفي ان تلاحظ ارضية صالة سينمائية عقب انتهاء العرض ، فحتى الايدي والافسواه تنشفل بكافة الوان السليات والشهيات والدخائن واللغائف والحلوى ، وذلك لامتناع جميع الحواس مرة واحدة ، وتعطيل الذهن . السينيما والمسرح والحشيش والاغاني العاطفية والنكات والجنس والخمور . . كلها منافذ او اغطية تمنع التحديق الاحمر لعين القلق العصبية .. كلها منافذ يهرب اليها الجمهور الذي لا يرغب الا بتركة في حاله !! على ان هذه الملذات نفسها التي تشبى بهروبه ، تبين في نفس الوقت مقدار ما يعانيه من الم وتمزق ، وكثرة الوقت الذي يمضيه في ملذاته يكشف عن عدم رغبته في التفكير بتوتره او حتى مجرد رفض وجوده ..

وهناك قلة لا تستطيع ان تعتمد المسكنات السابقة للتنفيس عن قلقها المكبوت ، فهي تتحول باطنيا الى وعي هذا القلق ، وليس الى التنفيس عنه ، ومن هنا اصبح هؤلاء يمثلون - باطنيا - الطبيعة التي تهلك في سبيل الاخرين ، بصفتهم الوعي الذي يفكر ويحس ويسجل ..

والحساسية عند هؤلاء تتطور من وعي العالم الى وعي الحساسية نفسها، وذلك يضخم بشكل مهول نتيجة التجربة السابقة ، وهذه العملية الاخرة اشد اجهادا من الاولى لانها تتطلب انفلاقا على الذات وتفتحا داخليا : وعي الازمة ثم شدة تضخيمها ، ثم وعيها وتضخيمها ، ثم وعيها ، وبذلك لا يمكن لهذا الفرد ان بنفس عن قلقه كما يفعل الاخرون الذين يعون الازمة ويهربون منها ، وان الفرد الحساس الواعي يستطيع ان يمارس كل ملذات الاخرين الذين يستعملونها كمتنفس عن توترهم ، ولكنه لا يستطيع - من الداخل - ان يطرح عناءه .. لانه منذ اللحظة التي وعي فيها احساسه بتوتره ، قد انحاز نهائيا الى الصف الذي يسجل هذا التوتر ويعلم عنه وهو لا يستطيع المواءمة بين حلول ترفيحية لقلقه وبين تطلبه الحاسم لتخفيف نفسي جديد ، وكل الفرق بينه وبين الجمهور الذي يعكس القلق هروبا الى ملذاته ، هو انه ليس فقط يعي التوتر ، فالجمهور قد وعاه ، بدليل انه يهرب منه ، بل انه يعي وعيه لتوتره ، ومن هنا اصبح لزاما عليه ان يعلن عن ذلك والا جن ! .

ان هذا الوعي الذي يظل يكشف عن سلبيته امام التطور الحاسم للعصر، والذي يعيش منتهى ضعفه امام تفوق الفكرة الجديدة ، يعود مرة اخرى كما يعود كل مطعون الى جلده الداخلي ، حيث يقبع منظار وردي او اسود.

طريق النجس

لا يخلت في روعك

أنت النجاس ضربت عطف

أو ابتسامت قدر

إن صمجد فوجبه دأتم

وسير طويدي واع

وفقا لحظط مدروسات

وعلى طرقات مهدة

ينبها أمامك هذا الكتاب

منشورات دار تبيرتوت

توفيد . بترارك . شيلي . هيلدرليد .. أكانوا شعراء اذا قورنوا باليونان . أودن . لوركا . الوار . فارغ ؟ كان الشعر في مطلع القرن استمرارا للانشاء المزد الذي عرفه رامبو وفيرلين ، وتحملت له احيانا سيتويل وبيتس ، وكان لا بد للشاعر ان يكشف غربة الانسان ، وان يتعاطى الرمز ، بدون ان يكشف عن وجه العالم .. ولذلك كان كافيا ان يعث من جديد ، في صورة جديدة ، ذلك الوجه الاسطوري للحياة في مطلقها وعمومها وضابيتها ليصبح الشاعر مجيدا !! ..

وفي عام 1922 اهتز العالم كله بقصيدة اهديت ببساطة (الى ازرا باوند Ezra Pound : H Miglior Fabro) وقيض لهذه القصيدة التي جاوزت الاربعمئة بيت ، ان تغير الشعر الانكليزي كله ، كما غيرت الرواية الانكليزية المعاصرة (اوليس) للكاتب الايرلندي جيمس جويس . ولكن هذا التبديل الطارئ بالنسبة للشعر الانكليزي والذي احدثته الارض الخراب ، لم يعمق تأثيره الا اخيرا جدا .. فقد عاد الى الانسان هذا الفن الذي طار كثيرا وهوم في الزرقة والاحلام .. ان هذه القصيدة هي روح هذا العصر في التعبير عن قلق الانسان الحديث .

على حين تسكع الشعر المعاصر لها في منظومات لم تزل تبحث عن شكل مستقر ، وكان (باوند) حيا ، وكذلك كان (اليوت) ، فلم يجروا التلامذة من امثال ماكينس واودن ودايلان توماس وسبندر على نشر اعمالهم الا برضى العملاقين .. حتى بدأت المدرسة الفرنسية (برتون . فارغ . الوار) في ابراز الفاجع كما عرفته هي ، لا كما وضعه اليونان كما ساء الفرد حامل الصليب ازاء حتمية التاريخ المسيحي .. فهم يشطرون احساسنا بالكون والاخرين ، ويعيشون هذه التقسيمات المتوالية ، فلا العودة الى المسيحية ، ولا الى الطبيعة يشكل درامية الوجود .. انه في التيار الحيوي لعلاقاتنا الصغيرة ، في احساسنا بالاشياء ، في كل هذه النعم والبلايا التي تعيش في صدفتنا وتصوغ بناءنا النفسي . ولهذا نجد (الوار) يغني الغناء ، ومايكوفسكي يغني المذهب ، ولوركا يغني الشهيد الاندلسي .. اما (هيرمان هيسه) فقد اختار ان يغني السحب والصمت !! حتى ليوبولد سيدار الذي غشته حتى الفجيمة حضارة كاذبة فينشده (اه .. النسيان) !! .. Ah ! Oublier ...

بيد انه ليس التخصص فقط هو الذي يعطي المعنى لميزة الشعر

الحديث ، فقد اضطر الى الصمت الابدي جارسيلوركا مجتذلا بالرصاص في خندق باسبانيا ، ومات هرنانديز سجيناً (1) ، وماخو في معسكر للاجئين ، وبعد عام 1917 اعدم جوفيلوف بالرصاص في روسيا ، وانتحر ازين 1925 ومايكوفسكي 1930 ، واختفي ماندلستام 1937 ، وأضحى أعظم الشعراء الاحياء يكتب دياالوجات شعرية لمسرحية شيكسبير عظيم ، ذلك هو موريس باسترناك .. الوجه الاعظم من بين وجوه شعراء هذا العصر ..

ان السلطة تناوى الشاعر ، لانه قد اختار ان يواكب التحول ، وان يرفض الجمود ، بالعودة الى المشاكل الوقفية للانسان ، بدل صمته الليم في الماضي ، فهو يدافع عن الحرية ، مجازفا بحريته ذاتها ، ضد الحكومات القهرية ، كاشفا في الانسان الوهيته ، وباقيا على الدوام ، الرائد المقدم لمستقبلنا ..

وفجأة يكتب (سلفاتورى كازيمودو) قصيدته العجيبة : انسان عصري هذا .. (X)

فاذا كان كل أسى مرده الى القلب ، فان هذه القصيدة قد غزته حقا ، وهذه ابيات منها :

« وعند عجلات التعذيب .. رأيتك ، وكنت انت »

« بملك الدقيق المتجه الى التدمير »

« بدون حب وبدون مسيح »

« لقد قتلت مرة اخرى »

« كما كان الامر على الدوام ، كما قتل ابائك ، وكما قتلوا »

« الحيوانات اذ رأوها لأول مرة ... »

« ما زلت رجل الحجر والقلاع ... ! »

ان الشعر الحديث يلاحظ بؤس الانسان الفرد ، ولا جدوى ارادته ازاء الارادة الساحقة للدولة ، فهو ينحني في الم صامت ، ثم يغني : يسوطونه فيغني ، ويقتلونه فيغني ، وليس امامه الا هذا اللون من التعبير عن العذاب .. وان كان جاسكوين يختلف عن هؤلاء برؤاه الرمزية شديدة التعقيد ..

انهم يغنون انسحاقهم ، ولذلك فشرهم فردي يعيد الى ذهن اعمال شعراء الرومانس والنوستالجي . وبدون استثناء و..ه. اودن ، ودايلان توماس ، يظل الشعر الانكليزي في المقدمة من حيث انصياحه الذي لا يقاوم للشجن الفردي ، والحنين الى الخصوبة والخضرة والبراءة . وبدون هذا الحنين يصبح الشعر بلاه سياسيا او اجتماعيا قاحلا ، كما نلاحظ في بعض اعمال اودن الذي يعتمد مداراة ذلك بشدة اهتمامه بالرنين الايقاعي الضخم ..

وسيزل الشعر ، ما دام ارتباطه بالموسيقى شديدا ، في مقدمة الفنون الهارمونية التي تخضع المعنى للشكل ، والشكل للمعنى في ديمومة لا تنقطع ، ولن يستطيع ان يتحول الى بوق دعاوى ، او صوت حزب معين ، لانه يفقد في هذه الحالة شكله المرتبط بالجنر فقدانا تاما . لقد وجد الشعر كما يتغنى به ، لا لكي نفرى به ريفيا جلفا على الانضمام لحزب او طائفة ، وما دام هذا ما وجد لاجله ، فاحسن الشعراء هو الذي يقاوم هذه الفجاجة ، ويردنا الى انسانيتنا ..

وفي هذا العصر الجنون يجد الشعراء موضوعات على غاية من الاهمية

(1) يراجع مقال (الشعر في اوروبا بين عام 1900 - 1950) بقلم س.م.

باورا ، العدد الاول من مجلة « ديوجين » Diogenes

(X) Uomo del Mio tempo يراجع العدد نفسه

دار الآداب تقدم :

قضايا جديدة في أدبنا الحديث

بقلم الناقد المصري الكبير

الدكتور محمد مندور

دراسات نقدية معمقة عن الانتاج العربي الحديث

وعن مشاكل النقد والادب

صدر حديثا

يفوضون في خصمها (X) ،

ليحز لانسان الاشراق الفجع ...!!
الرواية

بدون ان نجتاز الخط بين التسيب والتحديد ، يمكننا القول بان رواية
كونستانتان جيورجيو (الساعة الخامسة والعشرون) هي رواية القرن ..
وقد كان يمكن لجاروسلاف جيسيك او جوليوس فوتشيك ، من الذين عانوا
قلق الانسان الحديث الذي مزقته حربان كبيرتان ان يصيحا من اوائل
روائيي هذا القرن ، بيد ان احدهما قد قتل بدون ان يفحص بمزيد
من الوعي ، وجه العالم الذي دافع عنه ، وقد قبل احدهما الاخر ان
يصبح بوقا دعاويا ، وبذلك اصبح جيورجيو يملك الدرجات الاكثر ،
بدفاعه المخلص عن الحرية .

غير ان روح التقلت هذه، التي لا تقاوم، قد عنصرت لا شعوب وسط اوربا
فحسب ، بل الشعب الفرنسي نفسه ... الم نقرأ ضمن ادب المقاومة
(صمت البحر ... Le silence de la Mer) والتي اذرت منسد
فبراير ١٩٤٢ القراء في بحران من انسانيته وطعمها الشاذ ..؟ ولكن
الامر القطب يظل على الدوام اثرا قطبا .. ولذلك طويت صفحة (فركور)
من صمت ودون فجيفة ..

فاذا جمعنا اعمال جيورجيو ومالرو وفولكنر وكامو شهادة لهذا القرن ،

فهذا العصر هو واحد من عصور التحول في التاريخ ، وقد بدأ هذا
التحول منذ السنوات الاولى لهذا القرن ، فالاجيال التي ولدت خلاله
يمكنها ان تلاحظ - بدون المرور التاريخي الضروري للاعوام - مدى
الرهق الذي اصيب به الفرد ، ومدى اللامبالاة التي يعامل بها .. وفي
النصف الاخير لهذا القرن سوف تصبح هذه المأساة قضية الكثيرين من
الشعراء الشبان الذين يخوضون في هذه اللحظة مرارة التجربة ذاتها
التي قاساها جيل القرن السادس عشر ..

ان الميزة التي يمكن ان تطاوع الشكل الراهن للشعر الحديث ، بدون
التر بين مظاهره المتعدده ، هو انه يتجاوز عن نبرة العظمة التي رنت في
المقاطع الساحرة لشعر جيرار دو نرفال ، ولوتريامو ، ودانونزيو
يتجاوز ليقبض ، لا على شقاء الانسان ، بل على امله ، فقد امكن ان يصيخ
العالم لصوت البشر الفائبين في المستقبل والذين يطلبون ان يحيوا ببؤس
اقل ، وكثير من العرق ..

وان الشعر الراهن لا يفشل في اكتشاف الفاجع ، بيد انه ينحيه

* يمكن مراجعة (رقصة الموت ..) لاودن . كتبت عام ١٩٣٣ .

انها في اناسيد الشعراء ... انها في ضمائر الكتّاب والمؤلفين ...
انها في دماء الاطفال والشباب والشيوخ ... شعلة مقدسة خالدة
تنتقل من جيل الى جيل ...



الجمعة العربية

يلو لها وديرع مراحلها ويسجل ولا دترها في
بحث تاريخي اخاذ ، شيخ كتاب القضية العربية :

محمد عشرة دروزة
في انتاج ادبي ضخم انصه على افراجه
المبالغ الطائلة

٧٥٠ صفحة من القطع الكبير - اخراج طباعي فاخر - الممن ١٠ ليرات لبنانية
نشر وتوزيع : المكتبة التجارية - بيروت

يصبح الحكم مشكوكا في قيمته ، فهناك ايضا اهرنيورج ، ومورافيا ، وهمنجواي ..

وهنا يصبح واجبا ان نفرق بين شكلين من اشكال الرواية الحديثة . فهناك الرواية الحياتية ، التي تظل في اعماق صورها تابعة للطابع العاكس ، بكل الملكة النادرة التي تعبر عن انفعال الروائي بقضايا الحياة العادية بكل انفعالها وامتلانها وقدراتها .. ان الروائي يصبح تكتيكا مفرطا ما ظل القلب يحمل نفس الهموم ، ونفس الخطايا .. ولذلك ظلت روح همنجواي ونظرتة هي ذاتها في الحريين الايطالية ، والاسبانية .. انه يفصح همنجواي الناظر التمثال ..

والشكل الاخر هو الرواية الميتافيزيقية ، والتي طوعت ذاتها كي تمسك اليها اعماق ما في الفكر من قضايا ، فهي لا تسلم من خلط القارئ ، بيد انها تفترض ابدا قارنا .. انها تشبه اللوحة التي تنتظر المريض بمرضها نفسه ، ولذلك تصبح عالما مفتوحا ومفلقا بالوقت ذاته ، وهنا قيمتها الاساسية ..

ان الرواية القديمة كانت حكاية اي شيء .. وما الذي لم يكتب فيه ستاندال أو فلوير ؟!

اما الرواية الراهنة فهي قلق الانسان المدفون حتى العنق . انها القلق النبوي ضد اشكال الخطر المتصيدة للانسان ، وكما يحزر الكلب المعجوز ، الذي يفش بعظمة شهية ، في حين ينوي صاحبه ان يردبه بطلقة بين عينيه ، كما يحزر هذا الكلب الذكي نية صاحبه ، في هذه النظرة المخلصة الاكثر انسانية ، يصبح الروائي العصري املنا في ان يصد هذا التيار الجارف نحو العبودية بتأثير من هذا الارتباط الحديث بين الفلسفة والرواية ، كشكل يؤدي الى الخلاص النهائي ، وليس كحيلة ابدية يبقى الشكل خاضعا لها ..

ان الضمور الذي يصاحب فن قراءة الرواية ، هو بسبب من تحول القراء الى مشاهدة السينما ، التي هي دائما رواية حياتية ، بيد ان قراء عيهم ما زالوا يعيشون التوتر العنيف الذي يعرضه مالرو في (القاهرين) و (المصير الانساني) !! كما تمزق عند كامو ذلك الحد الشفاف الذي يفصل بين منتهى وحشية المتحضر الحديث ، ومنتهى انسانيته ..

ان الروائي الراهن يكف عن ان يكون راويا ، ويتحول ببطء الى ان يصبح فيلسوفا ، وبذلك يسقط عنه البدائي والتكتيكي والحادثي ، وتتمسك الرواية من مقاومة فجاجة الآلية بالارتداد لا الى الحيلة القديمة ، وهي كشف الخصم وتعريفه ، بل الى العكس ، تعرية الذات .. لتثبت هذه العملية مقدار رضائنا . بقبول ما يمكنه ان يكون ملائما من افكار وتوجيهات قبول لا اراديا ، لانه حصيلة نمو داخلي ، وعملية باطنية ، ورفض القيمة الذي ينشأ عن عملية التعرية هذه ، هو رفض جذري معناه استحالة ان تربط هذه القيمة بالمتكون السري للبشر ..

ان مالرو يخشى الموت الذي سيقبله فيما بعد على انه - بعد تعبير ايتيامبل - « ذلك الجدول القليل الفور ، الذي اسيئت سمعته ... » وهو في نزاعه الشرير ضد رغبة الارض في محو كل ما يتصل بالانسان ، يحاول ان يصل الى اثر هو فوق الفناء ، ولذلك ملكت هواه اهرام مصر المزروعة في الصحراء ضد الزمان .. ومعابد المسافات المصبوبة في وديان الصين وبين النهرين ..

ولا بد للرواية ان تسهم في اعادة فحص الانسان الذي يعيش اعماق مما يفكر ويحسن وسائل عيشه ، اكثر مما يدري لماذا يموت ؟! وذلك لان اندفاعنا الاخرق في تيار لاندرى مصبه ، قد يؤدي بنا الى نكسة عظمت لا

تتحملها قلوبنا التي عاشت في الحلم حتى الان .. فنحن نحيا واملنا في عظمة الدولة يسكب ظلا باردا فوق راس ينهش حتى العظام (1) وهذا الرأس المنسي هو جمجمة الفرد الذي بكى واعلن عن الهه البائس ثم مات في هدوء ..

فرواية جيورجيو بالنسبة الى هذا العصر المتحول ، هي شهادته ، وقد لا يمكن استثناء الروائيين الذين ظلوا مخلصين الى محنة الفرد من هذا الشرف ، وقد كان يمكنهم بتركيز ادق ان يفصحوا عن هذه المأساة كقولكتر مثلا ، ولكن هيامه باغراق ابطاله في جو من التشكك والعفوية والتعب ، نسج حول هذا الجو ظلا يمكن ان يفهم منه ، رغبته في ان يعزى هذا الجنون الى الوسط والوراثة ، ومن هنا يمكن ان نلاحظ مدى البعد البائن بين الشعر والرواية ، فلا يمكن للشعر ان يكون علميا هكذا ، والا فاحت رائحته وبهت لونه ..

وقد كان يمكن لجويس فضل اكتساب ميزة الوجدانية الفردية في الرواية ، لو كان ذلك ما نقصده بالحس الدرامي للفرد ، فيمكن عد هذه الطريقة وكذلك طريقة (دي جاردان) في « لقد قطعت اشجار الفار » عملا شكليا بحثنا يمكن ان يقارن باعمال كاندانسكي التجريدية في التصوير : خطوط وظلال متقاطعة واعماق ومنحنيات .. بدون لحم ودم وحيوية .. ولذلك كان على جويس ان يعيد النظام مرة اخرى الى ابطاله .. وقد اضطر الى فعل ذلك .. على ان هذا الحس الدرامي الذي هو نتيجة فصل روح العلم عن الرواية في جنوحها الاخر لاحتواء الفلسفة ، هو عصري جدا بقدر ما هو منعدم في اثار بداية القرن ..

ولذلك لا يمكن العثور عليه الا في مخطوطة كاتب لم يزل حيا ، فلا دستوفسكي ولا توماس مان امكنهما - مع حسهما الفائق بالفردية - ان يلاحظا هذا الانسجام الدخيل الذي اصبح هدى حياتنا ..

.. وفي الجانب الاخر من الارض ، في الاتحاد السوفياتي ، ازدهر شكل معين من اشكال الرواية يمكن ان يسمى بالرواية الاشتراكية الواقعية ، ومن خصائصها يمكن ان نلاحظ مدى تبعيتها للنظرة التي يدب بها كاتبوها .. فالمأساة هي التكتيك بالذات ، وحس القارئ بالندم او الاسى يمكن ان يكون مفروسا في القالب الثنائي للرواية ، وقطعا تصبح هذه العملية عبثا من الروائي والقارئ معا .. فبدون مأساة مشتركة ، حتى في اعسم الفنون واشيعها كالرواية ، يصبح العمل الفني نصيحة من الخارج .. وبداية لا يمكن زرع هذه المأساة في التحولات الفجائية للشخص ، فكل هذه الدعائم هي حلول ترفيحية لا تفش القارئ الحذر .. بل بالعكس تزيد جفوة ..

اننا نتحصن في عزلتنا لاننا نلاحظ التيار الزاحف ونرصدده ، ولان الرواية هي نفسنا المبسوطة ، ولوحتنا .. امكن لها ان تلاحظ ضياعنا وسط تيار من العبودية يزحف على رقابنا .. فتكلمت هي قبل كل الفنون عن حريتنا ، وعن قدسيتها ..

الرسم :

يرتبط هذا الفن اكثر ما يرتبط بمعارض التصوير ، ولذلك فهو اقل انتشارا من ان يعكس في الجماهير قضية معينة ، في زمان معين ... ونتيجة لهذه الحقيقة بالذات اصبح هذا الفن التقليدي حرا في ان يتبع قواعد الفنان الشخصية ، منزلقا في لايرنت من التعقيد الشكلي الفاضل .

(١) استمرنا هذا التشبيه من الكوميديا الالهية (اوجولينودلا جيراردسكا) دانت (الجحيم : ٣٢ : فقرة ١٢٧ .

ما دامت الرقابة ضيقة ، وما دام الجمهور بعيدا ..

ان اللوحة ليست كالنغم ، فهنا يصبح الملحن حرا في فرض نشيده ، غير ان الرسام حريته في حرية الاخرين ، وذنبه في انه تعبير عن كثافته الخاصة ، اكثر مما هو تعبير عن كثافة الاخرين .

ان الرسام هو عكس الموسيقي ، فالعمل النغمي مفروض على المستمع ، اتمس فيه حرية الملحن ، وديناه ، اغوص فيه لاحيا رؤا وهمه .. بيد ان اللوحة هي التي تكتشفني وتعطيني مزياتي .. انها تعيد خلقي لانها من وحشتي وصفائي ..

اللوحة هي ضمير معلق فوق جدار ، وهي لذلك مطموسة بما يعرفه كل اكتشاف في ذنوبها بالف عائق وعقبة : اللون . الاسلوب . الموضوع . الخلفية . التناول .. الخ .. وكل شبكة من هؤلاء معروضة امامي هكذا: بهذا الصفاء والود والعطف المبالغ فيه ! انها تجتازني ابدا ، في حين تصبج رائدتي التي هي عيني اسيرة قيودها الخارجية، بيد اني من جديد ، احاول ، لا رؤية اللوحة .. بل سجنها في داخلي حيث للشفافية وزن ، وللعبير وزن .. وهناك .. في داخلي يصبح ضمير الرسام حريتي ، وتنطفيء لوحة الجدار الى الابد !

هي هذه ، ميزة الرسام الراهن .. : ان يشاركني وحسدي واساي ، ولذلك ارتبط بالحرية والعدل والديمقراطية ، على حين اشترك الرسام القديم بالدين والحلم والاسطورة ..

وفي بداية القرن كان الرسم هو فن الجفوة بين اللوحة والناظر ، اذ كاد الشكل الخارجي يصبح معبرا محطما بين ذات الرسام وذات الناظر ، وكانوا يحملون اللوحة انتقالا من الرموز والاشارات والعلامات ، فيوقعون الناظر في مشكلة ابدية ، كالذي حدث للزخرفة العربية التي تبدأ من المطلق وتنتهي في المطلق ، بدون ان يكتشف الناظر الحائر بدءا او نهاية ، وقد قرنوا الزخرفة العربية بفكرة المسلم عن الهة !! فكيف اهتموا الى نيسة الخطوط التي كانت تحملها اللوحة في مطلع القرن !؟

يمكن لفن الرسم الراهن ان يصبح ضمير البشرية كلها ، فما عاد الرسام صابغ اتمشة ، او ملون جدران ، انه يرسم (جيلنا الحاضر) (١) ومعركة القرية ضد الفاشيست (٢) .. انه يتبدل ، ويتطور اذ يدرك معنى ارتباطه بالحرية وبالدم . بمستقبل البشر وبالتاريخ .. ان هذا الفن الذي كان متعة حبسية جدران وسقوف الكاتدرائيات والكنائس ، يصبح فن تغيير البشر من داخلهم ..

وبدل ان يكتشف الرسام نفسه في مجون عربي ، او طغيان حاكم ، فانه يعرى حتى اللحم والاعصاب هذه النفوس التي تحمل صلبانها في صمت ، وتعيش من جديد خطاياها المضاء بنور جديد ..

انه فن طرح القداسة ، والعودة الى الانسان ، وقد اتجه لذلك - اخيرا - الى التجريد متصورا ان الداخل الرمزي لعل نفس سعيد الداخل المكتشف من حيث القيمة ، واذا غص النظر عن معنى التجريد بالذات ، لاحظنا ان محض وجوده يعد دعوة لتشديد روحانية من نوع جديد .. ان الناظر لا يقع في مشكلة الخطوط هذه ، الا ليفر منها نحو اخلاقية

(١) لوحة رسمها « سيكويرس » المكسيكي ونال بها جائزة « البيناي »

الفينيسية عام ١٩٥٠

(٢) « جويرنيكا » للرسام الاسباني العظيم بابلو بيكاسو

باطنية ، فليس هذا الشكل رمزا لشيء متعين بالخارج ، ولنالاحظ قبل كل شيء ان الرمز هنا مقصود لذاته وليس مجعولا كجسر يوصل السى الرموز به ! .. وعلى الناظر ان يستدرج الرمز الى داخله ليمقد قرانا بين رمزه هو ، وهذا الرمز الدخيل .. فليست اللوحة او الجدار المرسوم سلما يرقاه الناظر كي يصل الى داخل الفنان .

وهذا الاشتراط الحديدي : ان يظل الفنان مشدودا الى جمهوره ، يعقب اشتراطا اشد تطلبا ، وهو ان يعلو الناظر باستمرار ليبقى في اسر الفنان نفسه ، ومن هنا يرتبط هذا الفن بالتطور وبالتحول العصري .. فضلا عن تأكيده على شفافتنا وحريرتنا ...

النحت :

قطعة الرخام او الحجر هي صليب المثال ، اذ يسمر فيها قتلاه وضحاياه فاذا كانت هي سجينه الوحده في شكلها الابهيم السابق ، فهي تظسل سجينه الوحده نفسها بعد اذ يطرق الفنان ابعادها ، ولكنها في هذه المرة



يطلب هذا الكتاب وسواه من الكتب العربية من

دار الثقافة ومكتبتها

بيروت - ميدان رياض الصلح ص.ب. ٥٤٢ تلفون ٢.٥٦١

وحدته هو ، وليست وحدة الحجر .. ومن هنا امكن لنفس قطعة الرخام ان تحيا في سجنين متلاحقين !.

وفي البدء كان الحجر يستحيل وجوهها واجسادا لموتى واقفين او موسدين : موسى . موزار . ليدي فرديكا . بولن . دوبروليوبوف .. بدون ان يؤدي هذا التبدل الطارئ الى اي تغير نوعي ، فما زال الحجر حجرا ، في حين يصبح موسى وموزار عظاما جيرية ، وبذلك اصبح هذا الفن عقيما ، فقد اضحى فن الميادين والمتاحف ، وردحات الاستقبال ، وارتد المثال تاجرا ينافس في نوع الحجر والحجم .. ثم اجر (القطعة ..)!! اما الان ، وعلى يد (جياكومتي) (مور) و (اهرليش) يصبح الحجر طعاما مريبا وشكلا مصفرا يبدو فيه الانسان لنفسه مترجحا فوق هاوية مريعة هي حاضرة .. وباستمرار هي حاضرة وهذه مشكلة عرضها اهرليش مرارا ..

الم يكن القلق والخوف هما وجهي المستقبل؟! اما الان فالنوتر هو العذاب الذي يدفن اشواكه في القلب : الى اين نسير؟. الحرب الاولى . الحرب الاسبانية . الحرب الثانية . القبلة الذرية . الهيدرولوجينية .. الكويالت .. الموت الدمار .. كل هذه ، اصول جذرية لرعب (اهرليش) ، وذعره الاصيل ..

يصبح النحت رهينا بكلمة النحات ، وقد اثر ان تكون لفته الرمز ، وعلى ذلك يتأخر هذا الفن خمسين عاما عن الرسم ، وسيظل كذلك ، فاللوحة قد نزعنا الاطار الضيق الذي كان دنياها ، واصبحت تجد مكانها في الجدار .. في مطلق الجدار ..

اما النحت فما زال الحجر والرخام والصخر حدوده ، ولذلك يضحى هو بالجلالات العظيمة التي كان ممكنا ان يخوضها ليستعمل الرمز والوشاية ..

لقد اعاد (مور) جانبا من هذا الفن الى ميدان اعماق ، ومطلوب بشدة .. غير ان هذا الانقلاب المفاجيء ، من عرض باهت للكنتة ، الى

* الحديد والاسلاك ، وكافة هذه المهازل المعدنية ، بعيدة عن ان تصبح فنا حقيقيا .. انها لعبة مسلية وليست حدودا لمأساة الفنان ..!

* هل تتذوق الادب الروائي الخالد ؟ ..

* هل تقتني روايات القصص العالمي ؟ ..

* هل انت ممن يقصدسون الحرية ؟ ..

اذا كنت من هؤلاء فاحجز نسختك من كتاب

ظلام في النهار

الرواية العالمية الفائزة بجائزة احسن واعماق عشر روايات ظهرت

حتى الان في اوربا

تأليف الكاتب العالمي : ارثر كستلر

تصدرها قريبا - دار الصراع الفكري - بيروت

التجريد ، سيفقد هذا الفن اشد انصاره حماسة .. ان لم يكن فد فقدهم بالفعل ..

اما الفضب فقد عرفه (جياكومتي) الذي فنتظ من محاولة اكتشاف سر الحياة في الانسان ، وآثر ان يعيد تخطيط معاركه الاولى ضد الزمن والكنتة والمسافة ..

والزمن في المسافة ، في تخطي المسافة ، بيد ان الناظر يرفض ان يخاطر بزمانه ، في سبيل زمان متخيل وزائف ، فهو بدلا من رعشة المخاطرة ، يغيب في الامان الميت ..

وان جياكومتي يبحث عن ناظر معين ، وهو لا يياس ، فلا بد من وجوده في مكان ما . اذ ليس المثال وحده هو الذي يرغب في ان يرى صفاء اشد لهذا العالم ، فيكفي ان يكون الراغبون في تقدم العالم الفا ، ليتكسب جياكومتي من الموت في سلام ..

وهذا الفن الذي يعد اقصى انواع الفنون ، لتبقيته المقلقة الى وجوه واجساد البشر ، يعاني الامرين من مشكلة التعبير التي تنحى عنه جمهوره ، فلا فرديته ، ولا انصياعه لاشكال اخرى من التعبير يمكن ان يقتفر لسه بلادته وجموده .. وقد يموت هذا الفن بدون كلمة رثاء او دمعة .. مع انه يمكن ان يكون مرآة تعكس توترنا ، او على الاقل تخفيه تحت اطمار من مشكلاتها وطياتها ..

وما دام قد امكن لنا ان نلون قلقنا ، فماذا يمنعنا من تكتيله في الصخر؟ ولكن اكتشاف ذلك هو عبء الجمهور الذي ينصرف عن هذا الفن نهائيا ليعيشي بصره في تيه الالوان الذي يعرضه بهو الرسم . على ان ذلك هو هواه الخصوصي ، فعلى فن النحت ان ينصرف الى جمهور يمكن ان يكون اعماق بصيرة ، واشد تفتحا على داخله . اما بالنسبة الى بقية الجماهير .. ففي يوم ما ... من يدري !!

الموسيقى

تثبت الموسيقى باستمرار اعراضها عن ان تصبح متضمنة لمعنى معين ، مكتوب او مشار اليه ، ولذلك يقرنون بها صفة المطلق الذي لا يؤدي الا لزيادة الجلبلة ..

غير ان النغم الذي يختلف شكله ومضمونه وقاعه عند باخ وبيتهوفن وماهler ، هو دعوة لاكتشاف الذاتي في الموسيقى ، لا العام ..

الموسيقى هي كآبة توترت حتى النغمية ، كآبة نفس في الوحدة : ضد الكون برمته ، وهي لذلك اروع وانفس اشكال الخلق الفني ، اذ ليست هناك موسيقى ، كما هو هناك فن تصوير طبيعي او فن عمارة .. بل ليس هناك الا موسيقى ملحن بذاته ..

لماذا كان الفناء .؟! لنشأة الفنون اسباب ، الا الموسيقى التي هي التعبير الاشد خصوصية عن فرحنا ، والاشد تأكيدا على بؤسنا والمنا، ولذلك يستندى اللحن العظيم الاسي أكثر مما يدعو للفرح ..

كانت الموسيقى حتى نهاية القرن التاسع عشر تابعة اما للمدرسة الالمانية المتجهمة ، واما الى المدرسة الايطالية الحقيقية .. الصرفة .. فقد ظلت تدين لبيتهوفن وفاجنر بشكلها وقالها ، حتى اطل القرن العشرون في وجه شوبنبرغ الذي عكر صفاءها بقضائه على نظام السلم الالمانى ، وادخاله نظام السلالم المختلفة التي تتطلب توافقا جديدا ، وظن تبعها لهذا التجديد ، ثم لمحاولات سترافنسكي المائلة ، ان الموسيقى قد ثبتت نهائيا في ذلك الشكل الذي اعاد لنظام الموجات zeitmotiv وجوده .

بيد ان التطوير الشكلي مسخ النغمية ، واضاع مهمة الايقاع ، واضحت الموسيقى هما يقطع الانفاس .

كله متابعا؟! ان كثيرا منا يودون ذلك .. والسينما تعرف هذا ...
ولذلك تعرض لنا هذه الفتحة في جدار جارتنا امد ساعتي ، فنعرف
حياتهم كلها ..

اما هؤلاء الابطال فليسوا نحن ، بيد ان حزنهم هو حزننا ، وقلقهم
فلقنا . انهم يربطوننا في مرارة اكتشاف كل لحظة ، وعلى النقيض من
كافة الفنون الاخرى .. يظل الفيلم ، طاقة خرساء تعرض نفسها دون ستر
ودون رموز ..

.. ان نكتشف عواطف الناس !!

اذا كانت هذه الصيحة هي التي مهدت السبيل لخلق المسرح ، فهي
نفسها النصيحة الاخلاقية التي يراها الفيلم ويبدد بذورها في كسل
انتاج كبير .. فعلى اساس المذلات المرهقة للبشر من اقتصادية ونفسية
 واجتماعية ، يصبح على الفيلم ان يدعم مشاركة الابطال النفسية لمرض
الجواهر ..

اما التطوير الحقيقي ، فقد بدأ منذ اللحظة التي اطل فيها رحمانينوف
بوجهه الذي غير تاريخ الموسيقى ، فلم تكن الانغام الا حكاية موسقه عن
.. وعن .. بدون ان تصل الى وحدانيتها عن طريق المرور المشع بداخل
الملحن المأسوي ، وقد قص علينا الملحنون الاول قصة براندينبورج . جيزيل ،
فاوست . جوليت . الامبراطور . الفدر . سيجفريد ...

كانوا يطابقون بين الحادث ، والكتابة العمومية .. اي يباشرون عملية
التوصيل بالرموز عن الحدث مباشرة ، كما فعل احد الملحنين الامريكين
حديثا ، للتعبير عن زحمة طريق ، فابتكر اصوات العربات والغير وصفارات
رجال المرور .. في قلب السمفونية !! ولذلك اختلطت الكتابة الحقيقية
التي تفرضها الموسيقى بالمعنى المفترض الذي يتسنى تناقضها وسخفها ..

اما هذا الملحن الغريب الذي عاش فنسله ، وكبريائه ، وموته .. فهو
يصل بتطويره الجذري للميلودي الى ما يطلبه مطلب النغم من توتر .
اهي ميزة الفنان العظيم ان يردنا الى براءتنا!؟

بيد ان البراءة نفسها تفقد معناها عند هذا الملحن الجليل الذي يدقق
في كل اختيار .. فليس لاي من المعاني الانسانية مغزى عندما يزداد التوتر
بين الوجود الانساني وغيبابه . على ان ظهرا شفافا يسمح لكآبة الملحن
ان تنتزع فرح المستمع الفارق في صحرائه فتصبح الكآبة كاتبين ، واحدة
للموسيقى ، والاخرى كآبة المستمع الذي يتردى في النشوة والالام ..
ان الموسيقى تعود ، على يد رحمانينوف الى روح البشر وعذاباتهم، وهي
في نصف هذا القرن الاخير تعبير عن تعاسة حضارة وفشلها .. ولذلك
فهي دعوة لحضارة جديدة ... يصبح الامل فيها - على الاقل - موازيا
للشفاء !!

السينما

لا شك ان السينما هي فن هذا القرن بالذات ، والذي يؤدي تطوره
الصناعي (ادخال الصوت ، الالوان ، زيادة مساحة الشاشة . التجسيم)
الى استعماله بديلا للحياة ، فاللوحة واللحن والكلمة لم تفقد اصولها
الاساسية الثابتة ، غير ان الفيلم قد فقد جزءا حيويا منه باستعمال
الصوت البشري .. فالتعبير الوجهي الذي كان قمة هذا الفن الصامت ،
يهبط الى الحضيض، لتشتد سرعة الحوادث، ويزداد انتباه المخرج الى واقع
الحياة في بساطتها واجمالها ..

ان الفيلم يحشد امكانيات الفنون جميعها .. في انه يستعمل مبادئها،
ويباشر عظمة في قلب الناس ، انه يظل المصلح ، من خلال العرض الناقد
للمنعكس والمائل ..

السينما هي فن اعادة البشر الى صوابهم ، وقد كانت في بداية
عهدها ، فن رؤية الحياة !. انها كالموسيقى مفروضة علينا ، تصفط ذواتنا
في ذات البطل ، ومنذ لحظة الاظلام حتى نهاية الفيلم تظل حساسيتنا
في خدر سحرها وطلاسمها ... نصبح بدون وجوه ، وبدون ذوات .. ولا
ارادة فردية ، حيث يستحيل كل فرد الى صورة من الارادة الجماعية
للصالة ، في رغبة الوصول الى جواب للاشكال المعروض .. ومن هنا
يصبح هذا الفن اكثر التصاقا بواقعنا وتعبيرا عنه .. انه يعرض مرارة
تجربة مثارة امامنا ، بدون ان يصبح في امكاننا التدخل او مفادرة القاعة ..
ولذلك فنحن نتلقى الحكاية السينمائية كالفن المكتوب ..

نحن فضوليون .. والسينما تعرف ذلك !! فكم منا من يود بكل قلبه ان
يفتح ثغرة في حائط جاره ليعرف اكثر .. وكم منا من يود ان يرى حتى
الختام حياة تعرض بكاملها امامه .. بدون ان يصبح عليه ان يقضي عمره

الفن الأدبي

تأليف
ستاني هامين
ترجمة

الدكتور احسان عباس
والدكتور محمد يوسف نجم

هذا الكتاب مرجع
للأدباء والنقاد
والباحثين
في الدراسات النقدية
(التي ظهرت في
هليلس الأخير)

نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت ، بالاشتراك مع مؤسسة فوكلين للطباعة والنشر

يطلب هذا الكتاب وسواه من الكتب العربية من

دار الثقافة ومكتبتها

بيروت - ميدان رياض الصلح ، ص.ب ٥٤٣ تلفون ٣٠٥٦١

ومن هنا سر نجاح الفيلم الإيطالي الحديث ...

وقد كاد هذا الفن الآن ، لقوته وتنظيمه ان يصبح علما وصناعة .. بيد الفنان .. يتأى به عن الانزلاق - حتى الان على الأقل - ففي نماذج الفيلم الاميركي نكتشف مخرجين من محترفي التجارة ، وكذلك موسيقيين لا يابهون بالفنية ، قدر ما يرعون حقوقهم المالية ..

ان للفيلم وجوها عديدة ، فقد خدم علم التشريح والجراحة ، وخدم الاكتشافات الجيولوجية وعلم الفلك .. وما زال يخدم التطور العلمي في كل تقدم تكنولوجي له ..

غير ان هذا الوجه هو علمه ، اما وجهه الفني ... ففي صلته بنا .. بالذين يجلسون في ظلام القاعة الاسود ، في وجوههم امل باسم ، وفاق حيران .. في كل ضحكة ، او ارتجاف شفة .

* بعد ان تدخلت اصابع الفاتيكان الحانقة ، ومن ورائها الاصابع الرأسمالية ، ممثلة في شركات الاحكار الاميركية ، توقفت السينما الإيطالية عن تقديم غذاء الجمهور ... واكتفت بتقليد هوليوود تقليدا شائنا .

ان هذا الفن الذي يكتسب في كل لحظة انصارا جديدا ، يطوح بظفره الماضي ، ليشرف على معارك مبتدئة ، فهو الوجه الحديث لعصرنا والحامل لرسالة تقدمنا ..

انه يطورنا ويربطنا الى انسانيتنا لانه يظهرنا .. كما ظهر اسلافنا المسرح اليوناني ..

بيد ان احتياجه ، واحتياج قواعده لادراك الحرفيين الفنانين ، يعادل احتياجه الى الناقد العظيم الذي يقف بالمرصاد ضد كل عملية تبغي ربحا تجاريا او دعاوة معينة ..

انه فن بث اخلاقيات البشر في ضمائر ابطالها ، لتعود مرة اخرى الى النفوس الخاشعة في الصلاة ، لتكتشف فيها اغوارها ورحابتها ..

نحن نحب انسانها الذي يسلك مسلكنا الطيب ، ونكره الاخر السذي يسلك مسلكنا الشرير ، ومن هنا امكن لضمائر الابطال ان تطورنا ..

ان اللوحة هي ضمير معلق .. اما الفيلم فهو اخلاقنا بالذات ..

المسرح

في هذا الوجه الكفيف من وجوه فننا من الاحساس بالتراجيدي الفردي ، ما يمكن له ان يحوز الى جانب كونه فن الالم الانساني ، صفة اخرى هي فن العظمة الانسانية ..

المسرح هو فن كفيف ، وكالعميان ، يملك هذا الفن من الحنق والبصيرة الداخلية ما يكفي كافة الفنون الاخرى وزيادة .. فهو منطوق على الداخل .. وداخل الممثل المسرحي (الوسيط) ينقل بعملية في غاية الرقة ، داخل المؤلف الى داخل الناظر ، ليتنزح من هناك ، مستخدما لذلك الشفقة والضمي ، الحس بالوحدة ويطرحه بعيدا .. الحس بالوحدة والعذاب والالام ..

ان المسرح يسحق الامنا .. في اللحظة التي تسحق فيها بدون رحمة ، نفسية تتلوى من العذاب امام ابصارنا : لا كف يمكن ان تساعد هذا الرأس المذب ، ولا كلمة يمكن ان تمنع سيل الدموع من هذه العيون الشفافة .. وقدر غريب مجهول يضرب بالضحية ارضا .. ولا نملك الا ان نتلوى ونبكي ونصرخ ، وهذا البكاء هو منفذنا بقدر ما هو اسانا .. وفي ختام المسرحية يبقى العذاب مطروحا على الارض ، ويخرج النظارة يحملون قلوبا جديدة مبدورا فيها الحب والشفقة ..

فقد سحق الالم في الداخل واصبح الفرد جديدا ومستعدا للتضحية مرة اخرى ..!

ومنذ اونيل ، المسرحي الاميركي الذي لم تنجب القارة ، ولا اوروسا مسرحيا في مثل عمقه او عظمته ، لم يحفظ المسرح الاميركي بتمثيلية يمكن ان تقاس بالامبراطور جونس او الرغبة تحت الصفصاف او اناكريستي ، او فاصل غريب .. التي يمكن - بالرغم من ان الاداء فيها عجيب وخارق ، وذلك لاحتوائها على افكار الابطال ، وليس سلوكهم وحوارهم فحسب - ان تعد واحدة من المسرحيات الاكثر حساسية في مطلق تاريخ المسرح العالمي ..

وهذا المؤلف ، الذي لا يمكن الحديث عنه ، بغير الانصات للنقاد الذين يعتبرون مجده ضرورة لتأثره سترندبرج ، قد اثر في المسرح الحديث بقدر ما اثر ايسن ، واكثر مما اثر شو وبيراندلو معا ! وذلك لانه اخرج الدراما من النطاق الضيق نسبيا ، والذي حدده لها ايسن ، وحاول في

- البقية على الصفحة ٧٢ -

صوفي عبر اللمس

تقدم :
قصة شاب سلك طريق عار
امرأة من باغيات اللذات وحديث
عزم على الزواج منها في انبائه
التي قيلت له انهما ماتت ...

لعنة الجسد

طباعة وتصميم فاخرة

٢٠٠ صفحة - ٢٠٠٠ ل.س.

المكتبة التجاربي

للطباعة والتوزيع والنشر

وجه عصرنا في القرن الغارب

- تنمة المنشور على الصفحة ٦٤ -

يصيح الفن وسيلتهم لابلاغ هذا التوتر المرن الى بلادة الاخرين .. فالفن بكل صورة ، هو علامة لنا .. وبالطبع تستثنى من ذلك الوان الفنون التي هي سخابة قبل ان تكون محسوسة ، كالتجريد والتكبيم والمدرسة النفسية و .. و .. فكل هذه المجموعة ليست الا رموزا عن داخل الفنان ، فاذا فف هذا الفم المختوم وضحت الاعماق هزيلة صفراء قشرية تستحق الرثاء ...

الفن هو علامة لنا ، واملنا .. فكل ما ينبئنا به موجود فينا بصورة او باخرى ، والفنان الجاد موصول يالحق وبالجمال والاخلاق ، من خلال اتصاله بعقوبة الاخرين .. بحريتهم ، ولان هذا الاتصال هو كل روحه ومزياه ، تصبح كلماته تعبيرا اكثر دقة وفنية عن كلمات الاخرين الذين هم في قمة العفوية ، يعيشون حريتهم وحياتهم بدون ان يفكروها او يزونها ، ولذلك تصبح ملاحظتها عسيرة عليهم ومستحيلة ، ومن هنا يصبح ضروريا للفنان ان يبتز مزاجه الذاتي في خوض الحياة ، ليمسك اليه خوض الاخرين في حياتهم .. وتصبح كلماته لاصقة بواقع البشر وحماقاتهم ...

فالفن هو حياتنا معروضة في صور .. واختلاف نوعية الفنون يمنحها سعة عظيمة تستطيع في مداها ان تباشر عرض كافة قضاياها ومشاعرنا .. فاذا استطعنا ان نجد الصلة او الخيط المشترك الذي يلم نوعيات الفنون المختلفة في عقد واحد ، امكنا ان نحكم على صورتها العامة من خلال هذه الملامح العروضة .. وقد حاولنا في النماذج السابقة ان نشر صورة عن الملامح البائنة في كل فن ، ومقدار انتماء هذه الملامح للفكرة التي عرضناها في المقدمة . فالفنون ما زالت فردية تعالج الم الفرد وانسحاقه التام ، ثم تصل الى الفرد في قمة عزلته واضطرابه ، فتسهم من ناحية بالقضاء على البقية الباقية من امه ، في حين يمكن له ان يهيء ذهن الفرد للتحويل المصري المرتقب ...

وقد بينا كيف ان الشعر يعرض للتوتر في صورة بحث عن عالم طيب اخر ، يسكنه انسان اما مسيحي ، واما بطولي ... ويسجل الشعر في منتصف قرننا على يد اودن بالذات وزمرة تلامذته علمية الواقع المادي ، خلال سخرته المرة من الخرافة والوثنية ... واليوت من ناحية اخرى يطالب بتحية الانسان صانع المحرك، وتثبيت الرجل مالك القلب والمشاعر ، فليس المطلوب هو السعادة ، بقدر ما هو الامان والاخلاص ... وهذه النظرة المزيفة للانسان تكشف عن المدى الذي وصل اليه الفرد المعاصر من حزن وبحث عن المخرج .. فأي حل يمكن ان يكون بالنسبة اليه القرار النهائي ، ما دام تمسكه بهذا الحل المرتجل ، يؤخر لبضعة ساعات مجيء النهاية المدمرة ...

فالشاعر يريد ان يوصل الى الاخرين المعاناة التي يخوضها في سبيل اكتشاف عالم جديد كله عدالة وحب وامان .. وصحيح انها نظرة مثالية، كما هو صحيح ان كل الشعراء مثاليون ، ولكننا على النقيض ... لا نبحت في ذلك ، بل نكشف عن صدقهم ومدى اخلاصهم في الكشف عن غور الناس الذين يعيشون بدون ان يلحظوا شيئا : انهم يلعبون الورق . يقطعونه ويوزعونه .. ويرشفون احيانا من كوب بجوارهم : شاي . كوكاكولا .. ثم يحدقون في المارة خلال الادوار .. : سميتة .! كلا انها من النوع المطلوب .. فقط لاحظ السابقين !!

ثم يعودون الى المنزل : ما العشاء؟! .. بطاطس او عسوس .. ويضاجعون نساءهم في شبق ولهان .. ثم ينامون ، كالعادة اولا على الجنب الابر ، فذلك يهضم المسلى البلدي .. وفي النهاية تتراجع صور اليوم

عظمة نادرة ان يعيد للانسان احساسه بشرف صراعه ضد ظروفه وورائته وما يسميه اجمالا قدره .. ملمحا في نفس الوقت بمقدار انتماء هذه القدرة للواقع احيانا وللخرافة احيانا اخرى ..

ومنذ هذا الدراماتي النادر ، وجد المسرح نفسه يواجه من الاسى اكثر مما واجه مسرح ايوريبيدس وسوفوكل وآنيل ، لان للدراما اليونانية صفة واحدة يمكن ان تقاس بها ، وهي احساس البشر بالنزال الدائر بينهم وبين الالهة .. ثم انسحاقهم تحت وطأة هذا الصراع غير التكافي ..

.. على ان مسرح اونيل يكشف في لحظة الانسحاق بالذات ، ان الانتصار كان ممكنا .. لو لم يكن ذلك الضعف النبيل الاسر ، الذي هو خاصة نادرة للبشر ..

وبالرغم من التأثير العظيم الذي احدته يوجين اونيل في المسرح الصالي جميعه ، نلاحظ ان المسرح الفرنسي الراهن يتنكب هذا الطريق ، ويؤكد على عيشية الحياة من خلال التأكيد على وحدة الانسان وضعف مناقبته . ان هؤلاء الممثلين الاكثر تأكيدا على عزلة الفرد ، يكونون دعائم المسرح الفرنسي الحديث ، متجاوزين عن النبوة الخارقة التي استهوت ممثلين من طراز كورناني وراسين ، ومبتعدين في نفس الوقت عن التأثير الساحق لتلامذة اونيل من امثال وليامز ، ميلر . اندرسون ، الذي يستمد عالمه الشعري من نفس المعين الذي يستمد منه كريستوفر فراي ، وهو شكسبير .

على ان هؤلاء لا يحتفظون فقط بالمظهر القشري لتأثرهم باونيل ، بل يتجاوزون ذلك ليعلم احدهم عن الامراض القدرة التي تفنك باحشاء الانسان ، وهي العنف والتوتر والاضطراب والمرارة ، وليعلم الاخر عن الافلاس الروحي للفرد في مستوى الحضارة الالية الحديثة ... ان المسرح الحديث يقف في مستوى الفنون الاخرى من حيث انصياعه للدور الذي يجب على الفن ان يقدمه لنعرة الانسان ، على انه يفوقها جميعا في قدرته على تقديم الحلول ناصعة ومبررة ، خلال التجربة الدموية التي يخوضها انسان ذبيح على مرمى ابصارنا ...

ومنذ وجد المسرح ، اصبحت ارضيته الخشبية مذبحا لقلق الانسانية .. هذا القلق الذي تغفر بحيازته الفنون العصرية .. على ان هذه المعجزة التي فجرها المسرح منذ الاف السنين ، تدل بمقدار الحساسية التي يتمتع بها هذا الفن الذي يعد بحق .. متنفس الجماهير ...

وجه عصرنا ...

اممكن ان تدل هذه السحنات المتفجرة والمنقلبة ، على شيء له كيان واحد ... يمكن ان يكون صفة لعصرنا او لسنواتنا؟!!

اممكن ان تفصح هذه الوجوه المستورة بالرمز والشعرية عن غموضها.؟ هل يمكن ان تنسجم هذه الملامح في شكل واحد له اسم؟! .. وجه عصرنا .. !!

انه لغريب ان نحاول لم شتات فنوننا ، ثم الحكم من خلالها على عصرنا ... ولكن وجه الغرابية يزول حتما عندما نلاحظ ان الفن ليس الانفسية الجماهير مصاغة في كلمات وانغام والوان .. وكما بينا في مقدمة مقالنا ، يصيح الفن بصورة عامة وسيلة اولئك الذين ما عاد في استطاعتهم ان يكرروا الهرب من التوتر العصبي كما يفعل الجمهور ، بواسطة السينما احيانا ، وبالانغنيات الجنسية والحشيش والمقاهي والنرد احيانا اخرى ..

وزحمته في رؤوسهم البليدة .. ويضحون متوحدين ، فمهما كانت الصداقات عميقة ، ومهما كان الحب رافعا .. فالإنسان ينطلق في النهاية على ذاته في الوحدة ، وفي النوم ، وفي الموت .. بهذه الصورة التجريدية ..

الشاعر يجمع كل ذلك ثم يغني هذه العزلة المينافيزيقية ، ويود ان يصل هذه الفجاجة في الناس بشيء له اصول : بنظرية ، بابمان .. بفراغ .. بشيء يمكن ان يحرك في هذه المعادن مشاعرها واحزانها ، بشيء يمكن ان يصبح في مكان القلب منهم .. له حرارته ودقته وضرورته .. ولذلك يخترع المذهب كما فعل اودن والوار ، ويخترع الخرافة كما فعل البيوت وفروست وستيفنز . ويخترع الوصل الشعوري كما فعل حكمت ورضا توفيق ولوركا .. ويكتشف مئات الوسائل للوصول الى الانسان ثم تغيره ...

وكذلك الرواية التي هي فن ابراز الحرية في الآخرين ، تود ان تعجل بهذا التغيير ، فتخوض في السياسة وتبارز الحكومات ، وتعلن عن التحول اكثر مما تفعل الفنون الاخرى .. وليس من ناحية الكم يمكن ان تشهد هذه الروح ، فثمة الاف الروايات تقرأ ثم تدوى في سكون .. وثمة رواية وحيدة تخرج في صمت ليكون لها دوي يصم الاذان لعدة قرون ، كما تفعل رواية جيورجيو العجيبة التي هي روح قرننا !.. فالفرد المسكين الذي يقصف رقبته هذا الثقل الميكانيكي العظيم ، يجد في الرواية الخلاص من ازمة توتره وجنوحه الى الانتحار .. وهذا التصميم الذي تبثه في الناس الرواية الحديثة ، يساعد من جهة في القضاء على الشناعة والاحساس بالطفو ، اي بالذات المدنية والزيادة على الكون ، ومن ناحية اخرى يحصل على الايمان بالتاريخ الانساني والارادة الانسانية . فمهما يكن اليس الانسان حرا ليختار ويرفض ويقرر !!.. اليس علي ان اكافح واصمم واعرق واسجن واجلد واموت كي يصبح اشقائي البشر اقل عرضة للمرض واقل فقرا واقل جهلا !! اليس ذلك من واجب الذي يقود ويعين ويرسم الطريق !!

فالروائي يمكن ان يكون النبي الذي يسجل بحساسيته الممتازة ، روعة اللحظة التي يصل فيها الانسان الى منتهى بؤسه ولا امله ، ومن هذا التسجيل المفترض لا بد ان يصحح الاوضاع بالنسبة للظروف والزمن ولذلك يتطلب هذا الفن ان يكون الكاتب اشد ما يكون صلة بالاضعاع في وطنه وفي العالم ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ونفسيا ، لان عليه ان يعيد الى العالم البراءة والظهر والامل .. خلال تكيده على ابصاح الجريمة والهمجية والخور ، والذل والوحشية .. ويمكن بالطبع ان تقارن عددا من روايتي هذا العصر الذي ما زال فن القرن التاسع عشر يسيطر على انتباههم ، بزمرة اخرى من الروائيين يكافحون من اجل مجد الانسان .

ففي الصف الاول نجد همنجواي . موم . مالايرته . مورافيا . توماس مان . مولك راج .

وفي الصف الثاني نجد جيورجيو . كازانتزاكيس . سارتر . مالرو سيلوني ، فولكنر . الصغان على طرفي نقيض ، الاولون منهم لم يدركوا تحول العصر فصوروا امانة المشكلة الفردية في عزلة عن العصر والتاريخ .. بعكس الآخرين الذين ادركوا هذا التحول العظيم الذي اربع بعضهم واخر نضج البعض ، في حين ازدادت نسبة الامل عند سيلوني وكازانتزاكيس .

اما الرسم فهو الفن الاكثر فردية بين الفنون ، لانه التعبير الاكثر خصوصية عن ذات الفنان .. فالالوان هي ضراعات وامنيات داخلية ، وكذلك الخطوط والموضوعات .. ويمكن ان نلاحظ ذلك في رسومات موريس اندريه وارنست فوش ، وريجنالد مارس ، الامريكي العظيم الذي توفي عام ١٩٥٤ . فكل ممثل من هؤلاء له طعمه الخاص ، ومذاقه الخاص للالوان

والموضوعات ، بصرف النظر عن تباين الخصائص واختلاف التقنية ، فاللون المستعمل عند هذا وذاك يختلف في الايقاع عند الاثنين ، لان لكل منهما ، بؤرة نظر تختلف سقوطا وارتفاعا عن الاخر .. ولان مشاعر هذا تختلف عن مشاعر ذلك ، فمن كل هذا الامتلاء الحار واللزج للحياة والآخرين يجد الرسام العصري موضوعاته وملوانته ...

وكما ان رسام الازهار والغازات والشواطئ موجود بكل سخفه وغندرته فان رسام القاب الانساني والالم موجود بكل جسارته واعتداده . ذلك جمالي وهذا اخلاقي .. وهنا يؤكد هذا الفن العجيب افتراق الجمال عن الاخلاق ، فلوحة ما يمكن ان تكون رائعة اخلاقيا بدون ان تكون جميلة ، والعكس صحيح .. والنوعان موجودان .. على ان الفنان الحقيقي هو الذي يتصل اكثر ما يتصل بالموضوعات الانسانية ، فيعيشها ويحياها ويعلن عن رضائه او لا رضائه بالاضعاع والنفسيات ، كما فعل مارش في اعماله المائة والستين . ففي لوحته (غابة شرقي الشارع العاشر) ... ١٩٢٤ نلاحظ في الحركة الصخابة التي تضج بها اللوحة ، وفي التعب الاصفر المكسوة به وجوه مريضة تخلع احذية مغبرة ، او تشعل النار او تتحدث او تكشف غابات ذقونها ... نلاحظ في كل هذه توترا دقينا صامتا .. حزنا وكآبة ومرارة ، ففي كل نظرة تعاسة الوحدة ، على حين لا يفصله عن الجمهور سوى شبر واحد هو مسافة الفرق بين الجسد والجسد .. ومع ذلك فكل فرد هو وحيد حتى الموت ..

روايات الليالي

الحارث الأكبر القسافي

اميل حبشي الأملق

رواية تاريخية أرتية غرامية

بطولة
جسارة
وكآبة
اكاربية
امانة
اغراض

حياة أعظم ملوك الغساسنة
صور رائعة عن عزة العرب وعظمة
النفوس والحب الطاهر العربي ...
أخطر مزامرة قام بها أحد عظماء
دولة من أهل فتاة ...

ادركو

غرام خطر ومعاكك بان ملكين يتصارعان

التمن ٥٥٠ غك

٤٥٠ صفحة

شوريات دار مكتبة الأندلس - بيروت

وفي لوحة اخرى (جزيرة كوني) ١٩٥١ نلاحظ لزوجة الاجساد ، سواء الطائرة في الهواء ، او اللقطة على رمال الشاطئ .. وفي وسط هذا الهرج الفريب نشهد نفس الوحدة والتعاسة في الاعين الزرقاء المهذبة بعيدا ، وفي الاطراف المنكسة ، وفي وجوه بدون ملامح ...
يستطيع هذا الملاحظ الفذ ان يفش كما غش زميله الايسلندي يوهانس كجارفال ، فصور الجليد في الشفق الوردى ، ومركبا شرعيا يرحل في ضوء اخاذ؟! على ان ذلك لم يكن منظورا منذ البداية فبعض الرسامين يستعملون الفن وسيلة ارضاء وامتناع ، هربا من كشف التوتر والقلق ..

كما تفعل السينما والمخدرات ، فذلك اسهل واكثر توصيلا للجماهير واجلب للربح !..

منذ وجدت الموسيقى وهي تنشر في المستمعين السكينة والاطمئنان خلال الايقاع المسدد ببراعة الى قلب مليء بالاحزان ، وخلال النغم الذي يسمر المستمع في وحدته الشوانة المبهورة ، وفي الحس بالوحدة الذي يبعثه من مرفده في القلب ، لحن يتمزق حتى الالم ، يباشر التيار المتتابع مهمة تخليص الانسان من كابته ، ومن صحرائه .

ان المستمع لا يتخيل ابدا في لحظة انصائه للحن ما ، صورة معينة ترمز بها الموسيقى ، انه لا يترجم النغم الى صور . بقدر ما يترجمه الى ذكريات ، وحتى هذه الصورة لا تأتي الا فيما بعد... اي في ختام الحفل السيمفوني .. اما في الانشاء التي نخوض فيها دوامة الاستماع ، فلا نفل الا ان نجدد تعاستنا في كل نغم جديد ، ويصل بنا هذا التجديد المستمر الى الختام المعلن عنه ، وفي هذه اللحظة تسقط عنا كابتنا ، لاننا عشنا كابة انفسنا بالاضافة الى كابة اللحن العظيمة ، وكما يسقط عن المريض بالوهم كل اضطرابه عندما يشاهد مريضا حقيقيا بمرض خطير .. تهرب من انفسنا كل صور الخور والجبن والتعاسة التي سيطرت علينا ... وبالطبع ليس هذا التطهر الدرامي خلة من خلال كل ملحن ، فهناك جاك اببير ، وكول بوتر ، وارنجر برلين ، وار مسترونج ، من الذين يوصلون المستمع الى الخض الجسدي المتع ، ثم يسقطون حتى ذلك عنه ..
ان الملحن الحقيقي هو رجل من طراز بيتهوفن وماهملر وتشايكوفسكي ورحمانينوف . رجل في دمه كابة ، وفي قلبه مصير ، وفي نفسه وحشة

فريا :

الاشتراكيون العرب

تأليف

الدكتور كلوفيس مقصود

منشورات دار الآداب

وفي يديه امل حيران .. كل ذلك من اجل ان يلاحظ وينبه على ابتعادنا عن المحبة والسلام ، ومن اجل ان يززع الهمجية والشر والبؤس في قلوبنا ..

ان الحضارة الحديثة تتأكد على يد ملحنين من طراز رحمانينوف ، وليس على يد بروكوفياف او شوستاكوفتش ، وفي المحاضرة التي القاها ختشادوربان وصور فيها بابشع الالفاظ اعمال رواد الموسيقى الروسية المعاصرة ، تلاحظ ان ما يسميه النقاد : الموسيقى الاشتراكية ، هي عمل لم يزل بعد دون المستوى العالمي ، وحتى الاقليمي ، لانه مليء بالفجاجة والاعلان والسخف واللامعنى ..

فمن خلال الاسى الذاتي يؤكد الملحن انتماءه لعصره ، فاللحن هو صورة الامس واليوم ، لاشوف للغد ، وللمستقبل .. ولذلك نجد انفسنا في (جزيرة الموتى) .. وكافة اوتيدات وبرولوجات وانترولودات وكونشترات رحمانينوف اكثر مما نجدها في اعمال اي ملحن معاصر ..

اما المسرح فهو الماء الذي يطفئ حريقنا الداخلي ، وهو لذلك ، ومنذ ايوربيديس يسيطر على احزاننا ويسقطها عنا دوما ، وهو ايضا السم الذي يلغ في كربنا ومدلتنا ، محاولا القضاء عليها ، او تثبيتها عند حدها ، مستعملا لذلك الاضطراب والسخط والكراهية ، ليسقط عنا كل ما هو زائف ومنحط ولا انساني.. ان المسرح الحديث يستنكف النظر الى الحياة والى البشر بمنظار المسرح اليوناني القديم ، فذلك قدر محض، ومتعلق بارادة السماء ، ولا شيء فيه بشري الا الضعف والمذلة ، ومسرح كهذا لا يمكنه ان يصعد بالارواح المنصتة في الصالة الى قمة وجدانها ، ذلك لان الحوار ذاته يؤكد خنوع الانسان بازاء القدر ، فالجمل الخالدة التي تكرر عبر قريات الرواد الاولى للمسرح هي : لا فائدة من مصارعة المكتوب ، فلنرض بقسمتنا .. او فلنمت دون كبرياء !

لا وجود للصراع ، طالما كانت الخاتمة معروفة ، فمن يمكنه ان يتقلب على جوبيتر ومجموعة الارباب الاخرين؟! فحتى الحس الرائع بالتوحده الذي يجب ان ينشره المسرح ، لا يمكنه ان يعصت المسرح اليوناني الا مصحوبا بالوعيد السماوي وبالضعة ..

ومنذ سترندبرج حتى اونيل وبريخت ، بدأت المسرحية تخوض المعارك التي كان لا بد ان تخوضها منذ ازمنة : الانسان ضد الانسان ، وضد الوضع ، وضد القسر .. ولا بد ان ينتصر الانسان مهما كانت الطعنات مباشرة ونافذة ، فلا بد ان ياتي الاخر الذي يتحمل ثقل زميله ، ويموت في المشاركة .. الاخر تلو الاخر ...

واصبح الصراع انساني ، وبالطبع ما زالت هناك الكراهية ، والاحقاد ، والهموم ، والاحزان .. ولكنها ابدا خفيفة على القلب ، لانها احقاد اناس في التحول .. في تيار منعطف اخاذ ...

هي هذه ... فنون عصرنا ، وهذا موقفها بازاء الناس والعصر ، ومن خلال هذا الموقف يتكشف لنا جليا ، ان الفن يهيبه اذهاننا جديا لتقبل وضعنا الجديد ، وذلك من خلال تأكيد المشع على توترنا واستجابتنا السريعة لدواعي الحزن والكرب ، والفنون تعرف ذلك ، تعرف ان القلب الانساني اسرع الى الحزن منه الى الفرح ، وذلك لاننا نحيا مأساة وجود ممزق ، وبدون تحديد .

الفنون تسال : من نحن؟! وما هو الحب .. والامان؟! واجابات تتعدد ولكنها تنحصر في الانسان وفي ارادته ، ففنوننا قد تطورت من التهويم الى الرياضة ، ومن الشفقة الى العدل ، ومن الانارة الى المسؤولية ... وبذلك استطاعت ان تقف على الاقل في نفس محور التحول الضروري خلال انتقالها المؤثر عبر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. وقد كشف الفن عن التوتر العصري ، فهل يكفي بذلك؟!.

الاشتراكية ، وقد ادى فننا هذا الدور بجملة : اشارة وصاح وصرخ وبكى فوق جثة العصر الذي انتهى ببداية القرن العشرين : عصر فختسه وهيلدرلين وابشندورف ... وكان مستحيلا ان يظل الفن مستمرا في عملية النواح هذه ، في حين يشي العصر في كل لحظة بمفهومه الجديد الذي يعد الافراد بالامن والسعادة بدون ان يفقدوا شيئا ..

ولم يجد الفن امامه سوى طريقين : مشاركة الانسان الفار عوبله ونواحه ، او القضاء على خوفه واشاعة الامان في حياته القلقة ..

ومنذ لحظة الافتراق هذه ، وجو الفن ان عليه ان يخوض الطريق الاول جانيا على ركبتيه كي يصل بالناس الى منتهى اشراق الطريق الاخر ..

وقد قاست البشرية احوالا ، وعاصرت مذابح وعمليات قتل واحراق وتدمير وتخريب ، في سبيل ان تصل الى الاشتراكية ، وقاسى الفن كذلك ما قاست البشرية ، لانه التعبير عنها ، قاسى الطفبان والتكبير وتكبير الافواه وحرق الكلمات في الورق ، وفي الحناجر .. قاسى كل ذلك ، كي

يمكنه ان يظل على الصباح نفسه الذي تطل عليه العصور ..

بيد ان رسالته ليست في مجرد تهيئة الاذهان لذلك ، فالكلمة كالقبضة ، سلاح هجوم - ولذلك ارتبطت الفنون باوضاع العصور كلها . عبرت عنها

ودافعت عن انسانها ضد كافة الوان التقييد والجمود ، وقد كان الفنان شهيدا يموت من اجل التعبير عن افكار الناس ، ومن اجل تطويرهم ..

واحتاج ان يبتكر الف شكل مرموز للتغريب بالسلطة : رسم قصة الخلق،

اذا لم يكن الجواب مدفونا في صميم العمل الفني ، امكنا ان ننتهمه بالتحول الى الجمالية ، فليس العمل الفني كشفا بقدر ما هو قضية انسانية ، مهتمها رفع الفرد من ظلمات التقاليد والبربرية ..

يجب ان يكون الجواب الاخلاقي مدفونا في قلب فنوننا الجديدة ، بصورة تاهيل للفرد ، لقبول الوضع الناشيء عن تحول العصر ، ومن هنا

يمكنه ان يحول القلق خلال التصعيد به الى الامان الذي يطلبه الفرد الملاح .. ان على الفن الراهن مهمة احياء هذه القلوب الفردة التي يقتلها

المرض النفسي فتتحول الى الجواب الطبيعي : العزلة ..! وقد كانت هذه العزلة منذ ازمة ، الرد المسبق اللاصق بحنجرة الافراد ازاء تطلب

الوضع اشتراك هؤلاء الافراد في حوض الحياة العامة ، انهم يجيبون بـ ((لا)) ، عريضة وفي حسم .. وتخسر البشرية الاف الافراد الذين يمكن

ان تستعين بهم ، وفي عصرنا هذا المجنون ، ازداد الرقم الى ملايين ، وخاصة في اوربا التي عانت احوال حربين بشعيتين .. اصبح الافراد يطبعون

كل حركة تطلب منهم العودة الى الوحشية ، والى الطبيعة ، والى الطفولة ..! واحيانا الى البراءة .. مصدقين هذه الحركات العجيبة

التي يهتم اكثرها ويؤكد على حرية الفرد وعلى ارادته .. بدون النظر في الاعتبارات الالهة التي هي الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي

والنفسى .. بالإضافة الى الإرادة الفردية واحكام الوراثة والاهلية الخاصة .. ان الاوروبي هو الذي عانى اقسى فترات هذه المحنة

الانسانية الهائلة ، وما زال يعانيها لان ، على ان الشرقي الحديث استطاع خلال وعيه بمعاناة الاوروبي ، وخلال اكتشافه المتأخر لزيف

الجواب الديني وسخفه ، ان ينزل الى هذه المخاضة حتى ركبتيه ، وقد امكن لبعض الكتاب في الشرق ان يصوروا هذا التوتر في بضعة روايات

وقصائد ، اثبتت ان الشرقي يعاني من نفس المأساة التي يعانيها الاوروبي الحديث ، وان لم تكن معاناة بنفس الدرجة والخصوبة ..!!

★

والان ...

ذلك هو وجه عصرنا .. فهل يكفي ان نلقى الضوء عليه !!! هل يكفي ان نقول : ذلك هو مرض امراضنا ، وسم سمومنا .. ان على الفن ان يتجاوز ذلك ، فبدل ان يقش الافراد بتلك النظريات والمذاهب ، التي هي

فروع صغيرة لاحكام الديانات الكلاسيكية والمنطق التقليدي ، وبدل ان ينضوا في تعاليمها الفاسدة التي تؤكد وعيا معكوسا ، وجب على الفن

ان يسهم في بتر القلق والتوتر الذي هو سبب هام لنكسة الفرد وتحوله الى عباداته الصنمية : العزلة . مرض الاعصاب - الجمود ..

ومن الباطن فقط يمكن للفن ان يزرع هذا الحجر الثقيل من فوق القلب البشري المعبث ، فلنن فقط هذه القدرة السحرية التي يمكنها ان تحول

المراة الى فرج ، والتوتر الى شعور دافق بالامان ..

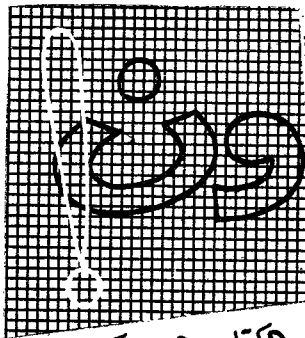
العصر يتحول ، والفرد لا يقبل هذا التحول الضروري ، وقد كشف الفن عن موقف الفرد الهروبي ازاء هذا التحول العظيم .. وتصبح قضية

الفن التالية والاساسية في منتصف القرن العشرين ، هي الصعود بالفرد من مجرد الاحاطة باوامره وتوتره ، الى التأكيد بضرورة انصياعه للحتمية

الصيرية .. لقد كان على الفن طيلة سنوات التقهقر هذه ، ان يدل بالنا ، وانسحاقنا تحت وطأة الافردية التي ينهب عنها تيار عصرنا المندفع نحو

صدر حديثاً

الجدل



الكتاب الذي كتبه مؤلفه "هنري ألبغ" من مجلته في الجزائر وماكارين في باريس هي بيعة منه عشرة الف نسخة في أيام ..

الكتاب الذي يروي ظلاله (تعبير في الجزائر) الكنازلة وتجديت عن أعمال فرقة (الظلمة) الفرنسية (التي عذبت جميلة بوهيرد وسراها

الكتاب الذي هو أركان الحكمة الفرنسية فصادرته وصفت تداولها اهدته من ضجرت في جميع الأوساط!

الكتاب الذي اشترت دار الآداب في بيروت حقوق ترجمته ونشره في جميع البلاد العربية

دار الآداب - بيروت



وصفح ارداف داوود ، وعبر بقصص الحيوان والطيور عن مشاكل كل الملك والسياسة ..

كل ذلك لانه كان مسلسلا بعالمه ولحظته ومشاكل دنياه .

ان نقطة انطلاق الفكر الاوروبي الحديث هي مطالبة المفكرين الملحة والدؤوبة بحرية الفكر ، ومقاومتهم لكل حركة فوقية تريد اهدار هذا الحق : وقد قدموا اجسادهم طعاما لنيران الجهل والتأخر والبربرية .. وفي عصرنا هذا يجد الفن ان عليه عبء تحويل هذه الازدهان ، من المسار الميت الذي اعتادوه ، الى مخاضة عصرية .. ويضعاف هذا العبء ، تمسك الفرد بكافة وسائل هروبه : المخدرات والملاهي والجنون والشنوذ ، وكل ما هو جديد ويعطي لذة جديدة .. ووجد الفن ان عليه ان يحارب الشك والسخرية واللؤم واللامبالاة ، ضمن معاركه المشرفة القديمة وهي التطوير والتمهيق والاحساس والاخلاقية .

وقد كان عليه ان ينفذ الى اوام الناس اولا ، كي يبدها من الداخل ، واصبح الان في مواجهة تيار من الاعين الفاحصة التي تسال : ماذا يراد بنا؟ ولماذا لا نترك في وحدتنا ؟

وكان على الفن ان يجيب ، وان يهديء ، وان يقنع ، وان يحمس ... وهكذا تحول الفن ، من تزيين غرف النوم ، وتنشيط اذهان الطبقة العليا ، الى نزع ديدان الجهل والشكوك والهروبية التي تنهش مخ الفرد المعاصر ...

ان الفن الاوروبي النبيل القوي ، يعلن عن امجاده .. وينصر انسانه .

★

... وفي نفس العصر ، وبدون دققة تأخير ، يعيش الشرق في اكفانه السود ، مغمضا عينيه ، متأخرا الف عام ، وفي ذهنه حروب الجاهلية وثقافة ضيقة ، وذكريات فاحلة من اهمها تراجم ارسطاطاليس ، وشاعران او ثلاثة !.. واذا اريد لهذه الجثة الحية ان تتحرك فلا بد لهذه الحركة من وسط تباشر فيه فعاليتها .. لا بد من وسط نظيف ..

لا بد ان ننطلق من نفس النقطة التي انطلق منها الغرب : اي من حرية الفكر ... ولا بد ان ننادي بذلك وان نموت في سبيله ، ففرط الانكفاء علي عقيدتنا يقتلنا ، ويعود بنا الى الاف من السنوات مضت .. لا بد ان نمزق هذه السدوف الكثيفة التي تحجب عن ذهننا النور: نورنا ذاته واذا قتل منا عشرة او الف .. فالزمن معنا ، الزمن والحاجة والمنطق! .. لا بد ان يكون لنا شهداء فكر ... لا بد ان يحرق ويصلب ويموت رجال

صدر حديثا

عروبه وانسانيه

مباحث في الاجتماع والفلسفة

بقلم

محمد وهبي

منشورات عويدات

آمنوا بهذه الحرية ، ليتمكن لنا ان نخوض عالما اكثر اشراقا ، واشد صفاء واقل عصبية ..

ما زالت حاجتنا في الشرق ، وما ازل طلبنا البكر : مزيدا من الشهداء . فكم في تاريخنا من أحرق في سبيل حرية الفكر ، وفي سبيل شجب الهمجية والتقاليد ؟ ..

كم في تاريخنا من طرده السلطات ، لانه يريد ان يغير المجتمع والذهن البليد العام !؟

لا احد !..

ذلك لاننا نخشى مصائرنا الشخصية ، ونزهب سلطة الدين والحكومة ، ونقول : لا فائدة !!

نحن نحتاج شهداء يصلبون من اجل الحرية ، كما احتاجت القرون الوسطى لذلك .. فمن خلال هذا اللهب الجرم يمكن للذهن البربري ان يفكر : ما أعند هذا الخصام بين هذا الرجل وبينني .. فاذا كان يموت بهذه الصلابة ، فثمة حقيقة اذن في عناده .. ولماذا لا يكون على صواب؟! وما اظهر موته !..

الشهداء .. والمنطق .. والزمن !! ويمكن لنا ان نأمل في حضارة عظيمة . ويمكن لفجرنا الذي تأخر حتى الان ، ان يبزغ فيبدد هذه الخفافيش التي سكنت القبور ، فطالبت ان تكون كل البيوت قبورا ..

ان الذي يحكمنا الان هو مشوى مسيح بالحديد ، يحكمنا ويحكم فنوننا وذهننا ... فكما تخلص الغرب من هذا المثلوى الملتخ بزيت القداست ، يمكن لنا ان نتخلص منه ، في نزوعنا الى التأكيد على حرية الفكر وعلى طلب العدالة ..

ان النزعة الاوروبية الحديثة ، في الدعوة الى الاشتراكية ، هي تطور حدث في جذور الثقافة الاوروبية . بدأت بشهداء المخالفين السياسيين ، ثم تطورت الى شهداء المسيحية . ثم الى شهداء العلم .. وفي عصرنا هذا نشهد الخاتمة في الدعوة الى التحرر من كل الاوهام والتقليدية ، بالانصياع الى روح العصر : الاشتراكية ..

فاذا نقلنا - كشرقيين - شكل فنونهم وغلافها الخارجي ، تاكيدا بتطورنا ، فاننا لا ندل الا بسطحيتنا وقشورتنا وبساطتنا .. فشكل الفنون ، وضميرها في الغرب هو امتداد وضعها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والنفسي منذ اقدم العصور ، فليس يكفي ان نستعير فنونهم كي ندلل بتطورنا ... اذ يجب ان نحارب المخاوف التي حاربوها ، ونخوض الوحل الذي خاضوه ، ونقاوم الفجاجة التي قاوموها . ان نخذل وان ندل ، وان نشعر بالجرم ذاته الذي شعر به كتابهم ومفكروهم ..

الانسان عندنا ما زال يؤمن بالتقاليد .. فلنخرب التقاليد ...

الانسان عندنا ما زال يدافع عن الخرافة .. فلنشوه دفاعه .. ولنندم الحرية ..

وما زال على الفن هنا ان يحظى بثقة الجمهور اولا .. قبل ان يعلن الحرب على اوثان هذا الجمهور واربابه ، والثقة تاتي من فهمنا لروحهم ونفسيته . لقد كشف الفن الغربي عن قلق انسانه ، وبشر بتحوله .. فلماذا يخشى الفن الشرقي اجتياز هذه المخاضة !؟

لماذا يجمد فننا عن محاولة كشف انساننا ازاء التحول العصري العظيم في الغرب !؟

محي الدين محمد

القاهرة